الدخول إلى ما وراء الباب

تأليف: جيمس ل. ماي

هل يجب أن نقترب إلى الله بروح الاحتفال أم بالرزانة؟ قد تكون أية من هاتين الطريقتين صحيحة، اعتماداً على الشيء المناسب لاجتماع عبادة معينة. قد يتم اختيار أي وضع معين، شريطة ان تكون استجابة تسبيح وإكرام صادقة نحو الله. حركة جسدية معينة في حد ذاتها ليست عبادة. لأن العبادة هي ما يتم في العقل والقلب. أي تصرف أثناء العبادة يجب أن يكون دائماً تعبير عن استجابة صادقة لله. مهما نفعل يجب أن نفعله بقصد العبادة. مهما يفعل الشخص إن لم يقصد به العبادة، لا تكون هناك عبادة. قد يكون الجسم في المكان المناسب، يفعل كل شيء بطريقة صحيحة، ولكن إن لم يكن من القلب، فلا تكون هناك عبادة.

ماذا تظن عن الشخص الذي جاء للعبادة ولكنه وقف عند مدخل قاعة الصلاة وبقى هناك كل وقت العبادة؟ هكذا نفعل أحياناً في العقل والقلب. تكون أجسادنا بين جماعة المصلين ولكن عقولنا في أماكن أخرى. نرنم الترانيم دون ان ننتبه إلى رسالة الكلمات {التي نرنمها}، ونجعل عقولنا تطوف {بعيدة} خلال الصلوات، ونعطي عطايانا الضئيلة، ونتوق إلى النهاية لكي نستمر بحياتنا {العادية}. إذا كانت هذه هي الطريقة التي يتقدم بها أحد إلى العبادة، فقلبه لا يكون قد دخل من الباب.

من الناحية الأخرى المتطرفة، هناك من يترددون بفرح إلى مكان العبادة الجماعية لأنهم يحبونه فقط. يأتون في وقت مبكر ولا ينصرفون بعجل. يأتون إلى هناك ليكون لهم وقتاً ممتعاً. يتمتعون برفقتهم مع الناس، ويتحدثون عما يحدث في حياة الآخرين. وقد يتمتع البعض بصفة خاصة بترنيم الترانيم التي بها الأبيات التي يفضلونها أكثر. قد لا ينتبهون كثيراً إلى رسالة الكلمات {التي يرنموها}، ولكنهم يتمتعون باللحن. قد يبقى قلوب هؤلاء العُبّاد عند الباب أيضاً – أو على الأقل لا تأتي أبداً إلى حضرة الله.

بالرغبة في العبادة

إن كنا نشارك في خدمة العبادة فقط لأننا نحبها، يكون الهدف مشكوك فيه. أني لستُ ضد الاستمتاع أثناء العبادة. لأن الله صمم العبادة بحيث تكون ممتعة ومفيدة للعابد. ولكن الشخص الذي يأتي إلى العبادة الجماعية بهدف الحصول على وقتاً ممتعاً فقط قد تفوت عليه العبادة. الذي يأتي إلى العبادة الجماعية بهدف عبادة الله يكون له أيضاً وقتاً ممتعاً، ولكن لا يحتمل أن فوت عليه المعنى الحقيقي للعبادة. ليس خطأ أن يشتهي الشخص أن يكون مع أناس آخرين وخاصة ذوي الإيمان المشترك؛ ولكن عند عبادة يفرح الله بسبب رغبتنا في أن نكون معه. العبادة لا تحدث بالصدفة. تكون هناك عبادة جماعية عندما تجتمع مجموعة من الناس لهدف عبادة الله المعبر عنه. العبادة مع الآخرين الذين لهم الهدف نفسه تساعدنا في الاقتراب إلى حضرة الله. يجب أن يأتي كل عابد إلى العبادة الجماعية قاصداً ان يقترب إلى الله ويساعد الآخرين أن يقتربوا إلى الله أيضاً.

قبل بضع سنوات حضرتُ خدمة العبادة مع بعض الأقارب في كنيسة كبيرة. مررنا إلى منتصف الممشى ووجدنا مقعداً جلسنا عليه نحن الأربعة، وافسحنا مكاناً للذين كانوا يدخلون. كان الناس قد بدأوا يرنمون عندما جاءت شابة في ملابس أنيقة وجلست بجواري. ولكي اساعدها

أعطيتها كتاب الترانيم الذي كان لي مفتوحاً في الصفحة الصحيحة، وأخذتُ كتاباً آخر لنفسي.

خلال تناول العشاء الرباني بدأت تبحث بين الأشياء التي كانت بمحفظتها. وأخيراً أخرجت دفتر الشيكات وبدأت تكتب شيكا للتتبرع به. ثم جاء وقت الوعظ، وكان الواعظ يتكلم في أشياء هامة، وكنتُ أدون بعض الملاحظات من الموعظة عندما بدأت الشابة الجالسة بقربي تبحث في محفظتها مرة أخرى. فظننتُ بانها تبحث عن شيء تكتب عليه. حاولتُ مساعدتها مرة أخرى، فأعطيتها بطاقة الكتابة. فابتسمت وهزت رأسها. أخرجت آلة حاسبة. بدت وكأنها تستمع إلى الواعظ. كانت تبتسم أحياناً أو تومىء عندما يقول الواعظ نقطة جيدة، ولكنها استغلت ذلك الوقت لحساب ما تبقى لها من مال في البنك.

و فيما بعد وجدت وقتاً أيضاً لتبرد أظافرها واعادت كل شيء إلى محفظتها قبل نهاية الموعظة. أشك في ما إذا كانت قد عبد الله حقاً، وأعلم انها لم تفعل شيئاً يشجعني على عبادة الله. لم يسعني إلا ان اتعجب ما إذا كانت قد تركت قلبها عند المدخل، مفضلة أن تكون في مكان آخر تعمل شيئاً آخر.

بالتركيز على الروح عوضاً عن الجسد

في كثير من الأحيان يكون الجسد حاضراً بينما يبقى القلب في المنزل أو مركز على الاحتياجات المادية والأشياء المفضلة. قد يشكو الجسد بانه حار أكثر مما ينبغي أو متعباً أكثر مما ينبغي، أو بان خدمة العبادة قد استمرت أكثر مما ينبغي. يحتاج الجسد إلى الطعام المادي بينما يحتاج الروح إلى الطعام الروحي. لا بد أن يتوحد الجسد والنفس والروح في وفاق؛ لا بد أن تشترك الثلاثة معاً في عملية العبادة.

تشير الأسفار المقدسة أحياناً إلى روح الإنسان بانه «الإنسان الباطني» وإلى الجسد بانه «الإنسان الخارجي». قال بولس للمسيحيين في كورنثوس بان إنساننا الخارجي يفنى بينما إنساننا الداخلي «يتجدد يوماً فيوماً» (٢ كورنثوس ٤: ١٦). وفسر لأهل روما أيضاً عن الصراع بين الإنسان الباطني والإنسان الخارجي (رومية ٧: ٢٢ و٢٣). قال يسوع لتلاميذه: «إن الروح نشيط؛ أما الجسد فضعيف» (متى ٢٦: ٤١).

هذا الصراع يؤثر على عبادتنا عادة. لا بد أن تتغلب رغبة الإنسان الباطن في المجيء إلى حضرة الله على الجسد، لأنه ليس هناك مكاناً أمام عرش الله للشهوات الجسدية. يشارك جسد الشخص في ممارسات العبادة؛ ولكن القلب أي روح الشخص هو الذي ينضم إلى روح الله في عبادة حقيقية. قد يرنم الصوت ويصلي بينما يكون العقل مليء بحسد ومرارة وتمرد. لا تكون هناك عبادة حتى يكون الإنسان الخارجي والداخلي متحدين في الرغبة بالاقتراب إلى عرش الله.

من الصعب ان يجاهل أحد الجسد. نميل إلى اعتبار الأشياء الشخصية التي نفضلها بانها «احتياجات». رغبتنا في الحصول على هذه الاحتياجات قد تفسد العبادة للآخرين وتجعل العبادة تفوت علينا أيضاً. إعداد القلب للعبادة يجب أن يبدأ قبل وقت طويل من وصولنا إلى مكان العبادة الجماعية. ويشمل هذا على الاعتزام بالمشاركة في الأشياء التي تبني الآخرين وترضي الله فقط. إذا تركنا أي شيء عند الباب، يجب أن يكون هو العالم واحتياجاته المادية. ينبغي أن نتقدم إلى الله بالروح.

ببذل الجهد

قد لا نمضي أبعد من المدخل في عبادتنا بمعنى آخر. مع اننا نأتي بقلوبنا إلى العبادة، إلا انه قد يجب أن نبذل جهداً عظيماً لكي ندخل من الباب إلى عبادة حقيقية. قد نصلي بالروح ونصلي بالذهن أيضاً. نرتل بالروح ونرتل بالذهن أيضاً (١ كورنثوس ١٤: ١٥)، ومع ذلك لا ندخل أبداً في عبادة حقيقية. يمكن أن نشارك في صلاة صادقة ونرفع أصواتنا في تسبيح صادقة ومع ذلك لم نختبر عمق العبادة.

المشاركة في نشاطات العبادة لا تعني بالضرورة اننا قد عبدنا. الصلاة والتسبيح (ترنيم عادة)، وتناول العشاء الرباني والقراءة من

الكتاب المقدس والتعليم أو الوعظ أو حتى العطاء. كل هذه طرق وضعها الله للعبادة وصُممت لترشدنا إلى حضرة الله حيث تتم العبادة الحقيقية. قد تقودنا أية من هذه الطرق المختلفة إلى حضرة الله إذا دربنا قلوبنا وربيناها في طريق العبادة. ومن ناحية أخرى، قد لا تساعدنا وسائل العبادة جمعاً في الدخول إلى عبادة حقيقية إن لم نرغب في المجيء إلى حضرة الله.

قد نتمتع تماماً بالتسبيح والوعظ وتناول العشاء الرباني، ومع ذلك لا ندخل أبداً إلى حضرة الله. حالما ندرك ما هي العبادة بالحقيقة ، نستطيع ان نعرف الفرق بين الرحلة وبين المكان المقصود. الرحلة تسهلها طرق العبادة. والمكان المقصود هو عرش الله. حالما نصل هناك نتأمل بتعجب في حضرته القدوس ونتمتع في بهاء نوره الصافي. وتنجذب قلوبنا إليه بمحبة فائقة وإعجاب. ليس هناك كلمات مناسبة للتعبير عن شعورنا بالشكر والتقدير. تتحد أرواحنا بروح الله هنا أمام عرشه وتكون في شركة معه.

لقد صمم الله العبادة كالوسيلة التي بها نتقدم إليه ونتقوى به ليتمم هدفه في حياتنا. هو الذي يطلبنا: كل ما فعل الله في تاريخ البشر هو أن يطلب الإنسان الذي خلقه على صورته وليوحد الإنسان مع نفسه. يرغب الله أن يكون في شركة معنا؛ وقد سعى إلينا من الخليقة إلى الصليب. ومن مياه البحر الأحمر الهائجة إلى القبر الفارغ أظهر إلهنا قوته ليردنا إليه مرة أخرى ويعطينا حياة أبدية. مواعيده تتصدى على مر العصور من دعوة إبرهيم إلى صعود المسيح إلى السماء. في شركته معنا يريد الله أن نصير وسائل قوته للوصول إلى العالم الذي نادراً ما يعترف بوجوده. الطريقة الوحيدة للحصول على هذه القوة هي بواسطة العبادة. بواسطة العبادة تخزن فينا قوته الروحية. عندما نرجع إلى العالم بعد ما كنا في حضرته يجب أن نشيع قوته للآخرين.

الخلاصة

الذين دخلوا في شركة مع الله بواسطة العبادة ينصرفون من الكنيسة عالمين أنهم كانوا أمام عرش الله. حضور الله المقوّي والثابت {فيهم} يكون معهم عندما يرجعوا إلى أعمالهم الروتينية. هم مختلفون لأن الله يسكن فيهم (١ كورنثوس ٣: ١٦؛ ٦: ١٩) ويبقى مركز حياتهم. لقد تناولوا الغذاء الروحي، وصاروا مؤهلين للسير مع الله والعمل له في حياتهم اليومية. لقد أصبحوا ما ارادهم الله أن يكونوا.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧

كيف نسجد

على الرغم من أن الله خلقنا لنعبد، إلا ان عملية العبادة لا تأتي دائماً بطريقة طبيعية أو سهلة. بعد ما تدرس الأسفار المقدسة لتعرف حقاً ما هي العبادة، نجد أن تعليم العبادة سيتطلب مزيد من الجهد والتكريس. قد ينطبق هذا على المسيحيين الجدد الذين تبعوا الجسد كل حياتهم. لا يخضع «الإنسان الطبيعي» (١ كورنثوس ٢: ١٤) بسهولة. يتوق الجسد إلى حريته، ويصرخ لأجل الإشباع، ويصارع بجهد لإسترجاع حدوده المفقودة. لقد جاهد بعض الناس لسنين لكي يضعوا الجسد تحت سيطرة الروح. الذهاب إلى الكنيسة حيث يتم ترنيم الترانيم الروحية وتقديم الصلوات لا يهديء الجسد تلقائياً ويجعله ساكناً. يبدأ الإعداد للعبادة الجماعية في البيت مع الأسرة أو الشخص بمفرده. قد يبدأ بوضع وقت في كل يوم للصلاة الخاصة أو مع الأسرة، وللترنم والقراءة والتأمل في الأسفار المقدسة. ركز على التقدم إلى حضرة الله. عزل نفسك عقلياً وعاطفياً من العالم وهمومه. كرس نفسك ويومك لله بالكلام وبوعي لله.

تعلم أن تنقل أفكارك من الأمور الدنيوية اليومية إلى أمور الله الشامخة والسامية. الوقت الهاديء الذي يقضيه الشخص أو الأسرة في التأمل يساعد على تدريب القلب والعقل والجسد للعبادة. تركيز عقلك على الهموم الروحية قد يكون الامر صعباً في باديء الأمر ، ولكن مع {مرور الزمن} واكتساب الخبرة يكون أسهل. قد تتألم أحياناً وتشعر بانك قد فشلت، وأحياناً أخرى لا تريد النجاح. هذا هو الجسد يحاول أن يسيطر مرة أخرى. لا تستعجل. التغلب على كل العثرات في الرحلة إلى عرش الله قد يتطلب وقتاً. وأخيراً ستدرب قلبك على أخذ طريق مباشر إلى حضرته وستريد البقاء هناك لوقت أطول.

الحقيقة انه ليس من الضرورة ان تكون عبادة الله بطريقة مقبولة امراً سهلا ً يجب أن تحث الذين يقودون في العبادة الجماعية أن يخططوا بدقة. حتى ترتيب الاحداث قد تكون له أهمية في قيادة الناس في طريق العبادة إلى حضرة الله. لم يوصى بترتيب الاحداث . ولكن عند اعتبار ان القصد من التجمع هو العبادة فمهما تم عمله يجب أن يكون إما كوسيلة تأتي بالمتعبدين إلى حضرة الله أو يجعلهم يمكثون في حضرة الله إلى حين. يجب التخطيط لسلسلة أحداث متدرجة ومنتظمة. يجب تشجيع كل عضو على المشاركة. العبادة في القرن الأول لم تكن للمتفرجين. ترانيم التسبيح أو صلاة أو الشكر تقود قلوب المتعبدين إلى حضرة الله. يكون من الأفضل أحياناً أن يذكر قائد الترانيم للمتعبدين كلمات الترانيم لتركيز الانتباه على الرسالة عوضاً عن اللحن. ترانيم أكثر من نوع واحد يكون مناسباً، يتم اختيار الترانيم عادة لتناسب الفكرة الرئيسية للموعظة أو القصد من وقت العبادة. كُتبت بعضها لتسبيح الله؛ وبعضها تحمل رسالة تعليمية، وبعضها الأخر تحذر أو تنذر بمخاطر روحية. فيَ الترنيم نتحدث إلى بعضنا البعض كما نتحدث إلى الله أيضاً. بالانتباه إلى رسالة الترنيم والتركيز على التقدم إلى الله بتلك الرسالة يمكن أن نتحرك نحو حضرة الله.

بعد التسابيح، يشتمل وقت الصلاة على الاتصال مع الله. قد تكون الصلاة بصمت، وقد يُطلب من الأعضاء الأفراد أن يتحدثوا إلى الله فردياً، ويتبع ذلك رجل واحد أو أكثر يقودون الجماعة في صلاة. يجب أن يقربنا ترتيب كل تعبير عن العبادة إلى الله أكثر فأكثر. يجب أن تكرم الصلاة الله وتسبحه (متى ٦: ٩). الصلاة الصادقة هي تدفق رغبات القلب إلى الله القادر أن يسمع ويساعد.

ربما يتم الوصول إلى قمة العبادة عند مائدة الرب. في ذلك الوقت يأتي المتعبدون إلى الصليب ليتذكروا المكان والزمان حيث خُتم حريتهم من الخطيئة والموت إلى الأبد. هنا اختلطت الرزانة وروح الاحتفال. بشكر متواضع يتم إرشادنا إلى فرح ودفء حضور الله، وذلك بالمشاركة في العشاء الرباني. ربما يريد المتعبدون أن يكونوا معه، يجلسوا عند قدميه، ويبقوا هناك حتى تمتليء كؤوسهم.

انسحاق القلب أمام الله، يكون كأس العابد قد امتلأت تماماً بالاستماع إلى ما يقوله الله. مثل صموئيل الشاب، القلوب تصرخ قائلة: «تكلم يا رب لأن عبدك سامع» (١ صموئيل ٣: ٩). فيكون القلب مستعد ليسمع القراءة من الكتاب المقدس والتعليم والتبشير.